

II - واقع الوجود: نظرة إلى الخلف:

أ- هي والوجود والفناء :

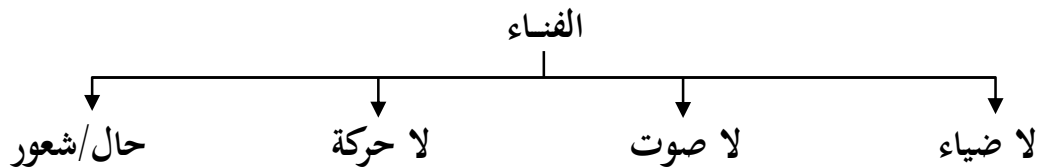
الجدول 01:

تداعيات الفناء		الفناء		الصفحة	النص
اسم	فعل	اسم	فعل		
في حنيني نقاء الصمت نبع السكون	استريح/اغيب / أغرق			10	1. الخروج
الصمت العميق			أفنى	11	
			أفنى	12	مع
أيدي الخريف لا همس خفيف		ضمور انطفاء	عانت جردتها عريت	13	
اللحن الأخير أشجان الغروب وداع الطير أسفار المغيب وداع النور		انتهائي الفناء		14	2. خريف و مساء
		ذبولي انطفائي الأبدى موت	أدوي تذوب (زهراتي) يخبو	15	
الصمت/الهيكل الناخر لا شعور/لا انفعالات لا نبضات وجد مأواها السماء دياجير العدم	تعس مالي	الفناء	تفنى	16	
الصمت/تائه				18	3. الشاعرة والفراشة
			تودعه	19	
صمت			تموت /مت	20	
كهف [الفناء] السحيق وحيدة/لأصاحب/لا رفيق	تاسي/ابكيك	الفناء×2 /الردى	تموتين	21	
		الموت×2 العدم/الفناء		22	

الجدول 02:

تداعيات الفناء		الفناء		الصفحة	النص
اسم	فعل	اسم	فعل		
عزلة/الصمت				24	4.أوهام في الزيتون
حفرتي		الموت		26	
حفرتي		الموت		26	
شمس حياتي	تنزوي			27	
داجيات القبور		الردى		28	
صمت/عزلتها/وحدتها				38	7.حائرة أشواق
تأهية/حيرتها/الحنين				39	
قلق/الآلم/غربته/تأهية/قلق		هوة العدم	أفنى	40	
الظلام العميق/لا رفيق				41	8.ليل و قلب
ظلم سادرة/الدجى/تائهون		حب الوتين		42	
الدجى/ لا نور	يخنق الألعان		ذوى/تبددها	43	
عسق الغيب	يعصف		تخدم/ يُتوى		
	يلوي بترجيعها			44	
	تظلم...			44	
لا رفيق/الظلام/الليل				45	9. حياة
اللحد/ليل الشجون/عمق			تلاشى	46	
السكون/ ظلام				47	
الليالي		موتك		48	
ليل/الأنور/وحدى		الردى		49	10.ظمائية السماء
حيرى/قلبي الوحيد					
ليلة/الظلمة/وحيدة				53	
الوحشة/الوحدة					
الليل/لا ومضة				54	
الاغتراب/الظلمة				55	12.في ضباب التامل
ظلمة/دجى/الليل	[ليل تدجى]	الفناء		56	
ليل/ضباب/الظلام/شاردة				60	
كئيبات/انطواء/انفراد			ذوت	61	
الحيرى/تأهات/توحدى/حيرة				62	

يؤكد التواتر اللفظي على إقامة متساويات تقوم على التشاكل اللفظي والدلالي، مترافقة مع وصف حال الذات ومكان تواجدها والكل متعلق بفكرة الفناء والانتهاؤ المؤسس عند الشاعرة على ما دلّ عليه لفظاً قائماً بذاته، وعلى ما عضده وكان من تداعياته، وهو كما في التشكيل:



يصنع هذا الوضع حالين:

- الأولى ما قبل الفناء.

- والثانية بعد الفناء تخيلاً، وما يحدثه ذلك من توتر في ذاتها، ولأن تساويهما لا شك فيه فقد أفتتها الأخابيل والمخاوف في الوجود؛ إذ لما ينعدم الصوت والحركة والضياء، ويفقد الكائن كل أشكال حرته العادية، تبدأ حال الفناء، لتعيشها الشاعرة قبل زمانها، فيكون الآتي امتداداً للحاضر والماضي الذي حدث فيه ما يستدعي هذا الوضع، ويترتب عليه أيضاً أنها تحيا فانيةً، وتفنى حيةً شيئاً فشيئاً حتى تخرج من حال الاتزان إلى الاضطراب والقلق، تصارع الزمن الذي يقربها من محضور هي لا تريده هو الفناء. وبالعودة إلى الجدول يمكن تعيين حقل الفناء بالعلاقات التالية:

1/أ. أفنى (بصيغة المتكلم المفرد في الحاضر وما تلاه زمناً) تكرر ثلاث مرات (فعل).

2. أدوي (بصيغة المتكلم المفرد في الحاضر وما تلاه زمناً) مرة واحدة.

3. تذوي/يخبو/تحمد (بصيغة الغائب العائد على ذاتها).

4. ذوت/تلاشى/ذوى/عاث/جرد/عري (بصيغة الغائب الماضي) بما يؤي معنى الهلاك والفناء.

5. متّ/تموتين: بصيغة المخاطب (الأمر)، وهو المماثل لها في يومها وفي غدها ومنه تستلهم

صورة الفناء المنفرد.

6. تبدّد: (بصيغة الغائب الحاضر)

7. يُتَوَّى: (بصيغة المبني للمجهول الحاضر)

فبصيغ المتكلم والغائب والمخاطب تفنى هي، ويفنى معها الوجود وكل أشكال الحياة في الماضي والحاضر والمستقبل.

ب/ تتقارب دلاليا الملفوظات التالية: ضمور، انطفاء، انتهاء، ذبول، لتؤدي معنى واحداً هو ما تؤديه ملفوظات: موت ≈ الردى ≈ الفناء. وهو المعنى المكرر معجمياً عشرين مرة، مشكلاً نواً دلاليةً، وما حولها يؤدي معنى الفناء بشكل ما، قد يختلف عن الأشكال الأخرى، الأمر الذي يصنع فضاءً واحداً تتنوع فيه أساليب الورد والوقوع ليتأكد المعنى المسيطر على الشاعرة، وباعثها على الانفعال.

ج/ يحدث هذا التقارب عن طريق الاستبدال لا في ذات التركيب ولكن في تراكيب آخر تأكيدا للتنوع وتحقيقاً للمحاكاة الحقيقية، لتحدث الرهبة عند المتلقي كما حدثت عند الشاعرة.

وعليه؛ فالضمور ضعف بعد قوة، والذبول تلاش بعد صلابة وانتعاش، والانتهاه غاية بعد ابتداء، والانطفاء ظلام بعد نور، وما/أو مَنْ فَقَد قُوَّتَهُ وتلاشى انتعاشه وانطفأ نوره حَلَّتْ نَهايته، وتحوَّل إلى الفناء. وقد تطلق على معاني أخرى تشترك كلها في معنى الانتهاه، كما تشترك في المعنى عينه مع ملفوظات: الردى والموت.

د/ تتقارب دلاليا أيضا ملفوظات: (أستريح) و(أغيب) و(أغرق) لتؤدي معنى الهمود والفناء بدليل التدرج الذي وردت فيه الأفعال من الاستراحة إلى الغياب والتستر إلى الغرق في الحنين، وهو استغراق متدرج من الهمود الواعي إلى الهمود اللاواعي، وكلاهما حاصل بالرضى والإرادة الكاملة في الفناء والرغبة فيه، وهو وضع مناف لوضع القلق والتوتر الذي تمَّ تعيينه سلفاً وهذا يحتمل: أن يكون الموضوع تناقضاً مع الذات التي لا تعرف ما تريد، وهو انفعال متعدد متناقض.

- ((تعس مآلي)) ← التحسر والتخوف
- ((تنزوي شمس حياتي)) ← لا ضوء ولا حياة مما يؤدي معنى الفناء بِنَقَسٍ مرغوب عنه ومن غير إرادة.
- ((يخنق الألمان)) ← لا صوت
- ((يلوي بترجيعها)) ← لا صوت
- ((وليل تدجى)) ← ظلمة
- ((تُظلم)) ←

وتتفاعل مع غيرها إذا تساوى الوضع بينهما لقولها: ((لا تأسى)) / ((أبكيك)) فكيف تطلب من الفراشة⁽¹⁾ أن لا تأسى، وأنها تبكيها وهي الساعية إلى الفناء؟ ! أم هو فناء غير الفناء الذي أرادته في البداية ؟ !

أو أن يكون الموضوع تدرجاً من حال إلى حال، ولكل حال دافعها، وكلاهما يصبُّ في الفناء، وهو ما أرجحه وسيأتي⁽²⁾.

يتعين من هذا الوضع فناءان يتشابهان انتهاهً، ويختلفان رغبةً وغايةً، ولذلك يُفهم تقسيم ما دلَّ على تداعيات الفناء قسمين:

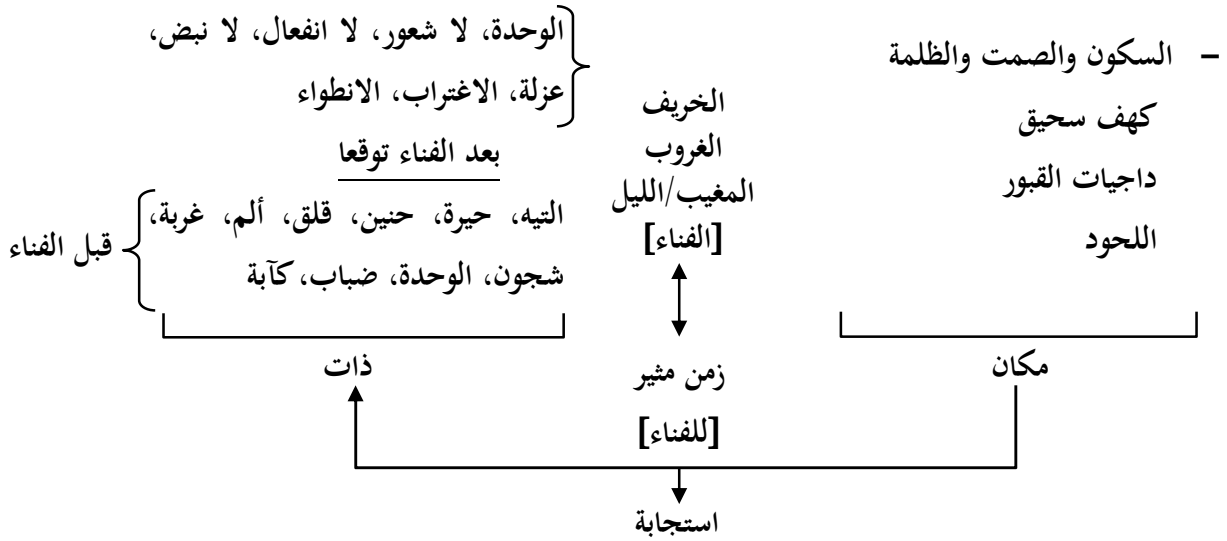
- الأول وفيه:

¹ - الديوان، الشاعرة و الفراشة، ص 21.
² - سيدرج مع التركيب، بعد هذا البسط المعجمي.

- نقاء الصمت.
- نبع السكون.
- الصمت العميق.

ليكون المراد تحقيقه عالماً يسوده الهدوء والراحة والطمأنينة حتى وإن كان بالفناء؛ لأنَّ العالم الكائن يفتقد هذه المقومات، وتُميِّزه الضوضاء والاضطراب وعدم الارتياح.

- الثاني وفيه:



تستحيل الدنيا ليلاً إلى مكان مقفر مرغوب عنه، لتتشابه فيه الأوضاع في ضوء ثنائيتي: (النهار/الليل) و(الضوء/الظلام)، وهنا تكتسي ملفوظات: ((الخريف/الغروب/المغيب/الليل)) معنى الفناء بدليل كونه مثيراً يستدعي استجابةً تجمع بين المكان والذات قبل الفناء وبعده، صانعةً التشابه من خلال هذا الاكتساب الدلالي الجديد الباعث على النفور زمن الوضع القائم.

ولأنه عالم مرغوب عنه، ترجو العالم المرغوب فيه، لكنّه لا يلبث حتى يلوح لها كالعالم المنفور منه، فالرغبة الملحة تنتهي بالرفض، ورفضها مبرّر بتشابه العالمين؛ فهي تريد عالماً آخر غير هذين سيدرك مع التراكيب.

1- الفناء في الوجود الفاني:

ومؤشره من البنية المعجمية ((انطفائي الأبدى))، ولازمه وجود انطفاء مؤقت، وهو الذي سمّيته بالفناء في الوجود الفاني. وقد تعيّن عندها في ثنايا خطابها الشعري فجاء في وسطه:

- (أما من نهاية

لدربي الطويل)⁽¹⁾

- (و هذا الخلاء

هباء هباء)⁽²⁾-----[فقدان الأمل]

- (وأجري وأجري وما في يدي

سوى الوهم شيء)⁽³⁾-----[ضعف وقلة الحيلة]

- (تعبتُ، تعبتُ، أما من نهاية

لدربي الطويل)⁽⁴⁾

(... وما من وصول)⁽⁵⁾-----[الحقيقة]

(غدا، إذ يجفّ الرحيق الشهي)⁽⁶⁾

ويذوب الربيع، ويفنى العبير)⁽⁷⁾

(وتفنى بأحضانه وتضيع..)⁽⁸⁾

وتأخذ ديوان شعر قديم

شاعرة غيّبتها القبور)⁽⁹⁾

وجاء في أوله:

فضاء مفتوح

(أواه، لو أفنى هنا في السفح، في السفح المديد)

1 - الديوان، هباء، ص 258.

2 - الديوان، هباء، ص 259.

3 - الديوان، هباء، ص 259.

4 - الديوان، هباء، ص 259.

5 - الديوان، هباء، ص 260.

6 - الديوان، بعد عشرين عاما، ص 371.

7 - الديوان، بعد عشرين عاما، ص 371.

8 - الديوان، بعد عشرين عاما، ص 373.

9 - الديوان، بعد عشرين عاما، ص 374.

فضاء نوراني

في العشب، في تلك الصخور البيض في الشفق البعيد

في كوكب الراعي يشع هناك، في القمر الوحيد

أواه، لو أفنى كما أشتاق، في كل الوجود! (1) [التلاشي] بالفناء في الطبيعة

لماذا تهوى أن تفنى في الطبيعة، وفي كل الوجود؟ لعله الفناء الذي يقارب الحياة، تتوزع فيه

الروح على كل العناصر، فتجدد بتجددها، والشاهد:

(هاهي الروضة قد عاثت بها أيدي الخريف (...)) [فناء الطبيعة].

جردتها كفه الرعناء من أوراقها
عريت، لا زهر، لا أفياء، لا همس حفيف (...)
و عروق النور آلت لضمور، وانطفاء (2)

ثم تحيا من جديد:

- (سعود الروض للنضرة، والخصب السري [تجدد الحياة].

سعود النور رفافا مع الفجر الطري) (3) [نور الفجر/خصب/نضرة/جمال] مظاهر الحياة.

تعود الحياة إلى الطبيعة من جديد، وتتجدد مظاهرها فيها، لكن أ تعود الحياة للإنسان بعد

انفصاله عنها؟

- (غير أني حينما أذوي، وتذوي زهراتي

غير أني حينما يخبو غدا نور حياتي

كيف بعثي من ذبولي وانطفائي الأبدى؟!) (4)

لقد أدركت أن تجدّد الحياة في الطبيعة لا يعني بأي حال تجدّد الحياة عند الإنسان،

والفناء عند الطبيعة يتلوه تجدّد لا يحدث مع الإنسان.

لهذا ترجو تلاشيا في الوجود ليتجدد في كل مرة مع الطبيعة، وهي الرغبة التي لا تتحقق بفعل

الفناء ونواميس الحياة، فتصوّر تداعيات هذا الوضع:

(وي! كأني ألمح الدود وقد غشّي رفاتي

(...)) عائثا في الهيكل الناخر، يا تعس مآلي!

1- الديوان، مع المروج، ص 11-12.

2- الديوان، خريف ومساء، ص 13.

3- الديوان، خريف ومساء، ص 15.

4- الديوان، خريف ومساء، ص 15.

(...) جثة تنحل في صمت، لتفنى في التراب⁽¹⁾

هي صورة الفناء التي ترقها؛ فناء الجسد المادي في الطبيعة، وتبقى الروح موضع تساؤل عندها: أتفنى كما يفنى الجسد، أم تخلد بالتجدد كما تتجدد الطبيعة؟

(ليت شعري ما مصير الروح والجسم هباء؟!)

أتراها سوف تبلى ويلاشيها الفناء؟

أم تراها سوف تنجو من دياجير العدم...⁽²⁾

هي لا تريد عودة بعد الفناء، ولا بعثاً لأن الفناء عندها حرية من قيد الحياة:

(عجبا ما قصة البعث وما لغز الخلود؟)

(...) أو تهوى الروح بعد العتق عودة للقيود؟! ⁽³⁾

فالروح خالدة تتحرر بالفناء، ولذلك تأتي العودة للقيود، فإما أن لا تُبعث أصلاً، وإما أن تُبعث في غير الطبيعة، وفي الحالين معا، هي حرّة من كل قيد.

إن هذه الصورة للفناء هي صورة متخيلة لم تحدث على الطبيعة حقيقةً فتصوّر مماثلاً لها يفني أمامها، وتتوجع لفنائها ماقتةً الفناء جملةً وتفصيلاً والمماثل هنا فراشة:

- (ودفق الليل كبحر طغى فانحدرت تحت عباب المساء [هموم/زمن])

تخبّط في الدرب وقد غمغمت شاخصة المقلّة نحو السماء [صورة الفناء]

(يا مبدع الوجود، لو صنته)

من عبث الموت وطيش الفناء! ⁽⁴⁾

إذن هي ترفض الفناء وإن كان قدراً، فإن حدث فالفناء عندها كما حددته سلفاً.

لقد أكدت يأس الوجودية في موقفها من الحياة، فأثبتت للطبيعة تجدداً، ونفتت عن نفسها وعن الفراشة، وبعلةً هذا الإحساس المر، والشعور الرهيب تنحو إلى فناء جديد، فناء كالوجود لا يفنى:

(لم جئت للدنيا؟ أجتت لغاية هي فوق ظني؟)

(...) أيحس هذا الكون نقصاً حينما أحلي مكاني؟! ⁽⁵⁾

1- الديوان، خريف ومساء، ص 15-16.

2- الديوان، خريف ومساء، ص 16.

3- الديوان، خريف ومساء، ص 17.

4- الديوان، الشاعر والفراشة، ص 22.

(...) هذي حياتي، خيبة وتمزق، يجتاح ذاتي

هذي حياتي، فيما أحيها؟ وما معنى حياتي؟ (1)

2- الفناء في الوجود الذي لا يفنى:

لقد رفضت فناء الدنيا لما يسببه لها من قلق واضطراب، وما تصفه أحيائها من هلع المآل، فترجو الهروب من الواقع إلى حياة لا يعتربها الفناء، مقارنة بين هنا وهناك، وهما مكانان يشيران إلى الأرض والسماء، وقد بينت ما في الأرض، فما يكون ما في السماء؟

-(ألست من الأرض؟ فيم انخطافك؟ فيم انجذابك نحو الأعلى)(2)

وتعلّل شوقها ورغبتها للفناء:

تلفتت وراءها في أسى نحو مهاوي أمسها الغابر

(...) لعل في الماضي وأطيافه عزاءها من قسوة الحاضر

فما رأت غير حطام المنى على صخور القدر الغادر..

وبعض أشلاء هوى حالم.. مرتطم بالواقع الساخر

(...) وهي على الدرب ذعور الخطى.. رفيقها الوحدة والاغتراب

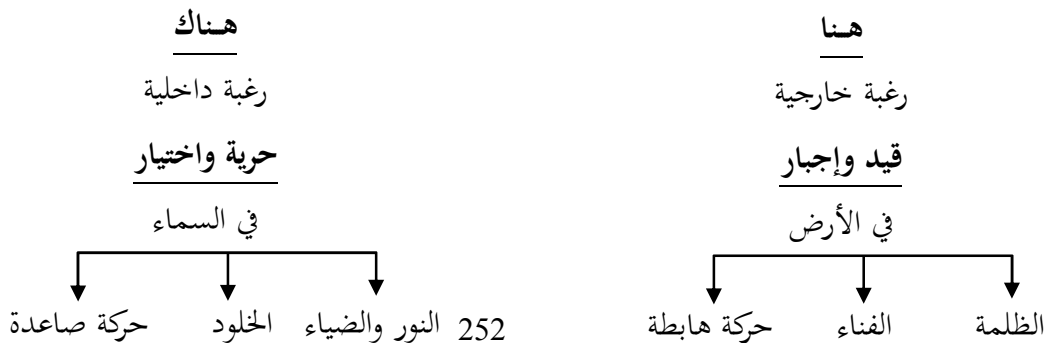
(...) تدفق الظلمة في يومها.. في غدها المحروم.. في أمسها(3)

ولذلك ترجو فناء في السماء يساوي حياة دائمة:

-(فأود لو أفنى وأدمج في عمق السماء ونورها الباسم)(4)

يفتح هذا الوضع تقابلاً بين ((هنا)) التي تشير إلى الأرض، وتمثل العالم المرغوب عنه،

وبين ((هناك)) التي تشير إلى السماء، وتمثل العالم المرغوب فيه:



هناك حيث النور لا ينتهي

هناك غشتها طمأنينة

(...) هيهات أن تلمس روحا سرى

إلى عالم عبقرى سحيق⁽²⁾ فتتأين عن واقع راعب

[هناك]

[هنا]

-(وهناك توميء لي السماء وبى

(...) وأرى كواكبها تعانقني

ولذلك ترنو إلى فناء في الوجود الذي لا يفنى؛ إذ هو الاندثار والانتشار بل التلاشي في كل

السماء... غير أن النزول إلى الأرض حقيقة واقعة، ولا فناء للبشر إلا فيها:

-(الأرض تعلق بي وتجذبني

وهناك روحي هائم شغف

وتشد قبضتها على قدمي

بالنور فوق رفارف السدم⁽⁴⁾

وفي الوضع تقابل وتعارض رغبات داخلية ترنو إلى السماء، وخارجية تفرض عليها البقاء في

الأرض، بما ينمي الشعور بالقيود والإجبار:

-(فهناك أصداء يسلسلها

وهنا هنا في الأرض تهتف بي

تنتشر [هنا] في قصيدة ((حياة)) دون تعيين، ولا ذكر للفظ ((هنا))، الذي يسري في قولها:

-(حياتي دموع

¹ - الديوان، طمأنينة السماء، ص 56-57.

² - الديوان، هروب، ص 37.

³ - الديوان، أشواق حائرة، ص 39.

⁴ - الديوان، أشواق حائرة، ص 40.

⁵ - الديوان، أشواق حائرة، ص 40، تنتشر [هناك] في قصائد (هروب)، و(أشواق حائرة)، و(في ضباب التأمل) و(طمأنينة السماء).

وقلب ولوع

وشوق، وديوان شعر، وعود!⁽¹⁾

وهو في آخر القصيدة وكأنها تستقر عليه في علاقتها بالأرض؛ ولذلك حينما تتوجه إلى السماء فهي ترجو حياة بلا دموع ولا ولع، فيتحوّل شوقها إلى هناء وراحة وطمأنينة. لن يطرح التساؤل: ((لم الرغبة في الفناء؟)) لتعني الإجابة صراحةً وكنياً، ولا ((كيف؟)) لحصولها توهماً وتخياً وحلمًا.. ولكن: ((هل هناك ما لأجله تستريح الفناء غير عالم التعويض المخالف لعالم الحرمان؟))، وبخاصة وقد تعين أن ال((هنا)) يعني الفناء، وأن ال((هناك)) يعني الحياة، وهي القاعدة في كل القسم الأول من خطابها الشعري⁽²⁾ إلا في مواضع. يقتضي الوضع القائم الإجابة على السؤال وتعيين مواضع الاختلاف بين ال((هنا)) وال((هناك)) دفعا لكل اعتراض.

إن الإجابة بالإيجاب يقينا، ويحملها من شعرها الآتي:

- يا حبيبي كلما ناديتني

هاتفا عبر المسافات: تعالي

عبقت في خاطري يا جنتي

¹ - الديوان، حياة، ص 52. الصورة مؤكدة في ص 49 من ذات النص.

² - يتعين ذلك في:

- إلى صورة، ص 76.
- غب النوى، ص 70-72.
- سمو، ص 82.
- في محراب الأشواق، ص 84.
- قصة موعد، ص 87.
- وجود، ص 108.
- في سفح عيبال، ص 116.
- على القبر، ص 123.
- ذكريات، ص 179.
- وانتظرنى، ص 183-184.
- هل كان صدفة؟، ص 190.
- العودة، ص 194-196.
- في الكون المسحور، ص 198-201.
- هل تذكر؟ ص 203 و205.
- تشك بحبي، ص 258.
- الأطياف السجينة، ص 244.
- الصخرة، ص 247 و250 و252.
- أنا راحل، ص 256.
- هو وهي، ص 274 و277 و281 و291 و300.
- لا مفر، ص 358، هناك: أعماق ذاتها
- عد من هناك، ص 362 و364. [ذكرى وعودة].
- بعد عشرين عاما، ص 373 - 374 - 375.
- ذاك المساء، ص 380.

جنة، وانهلّ ضوء في خيالي

وبدا لي

عالم ريان، وردى الظلال

من شباب وفتون وغوى..⁽¹⁾

(ومازلت أصغي وأحلم أني

أطير إليك وأعلو

ودربي عبير وظل

ووطء حرير يرف

وضحكة شمس تهل)⁽²⁾

فيتعين أن توجهها إلى السماء وراءه وجود أخيها في عالم:

(سكّانه الطير وأنفاسه

النور والسلام والحب

ملون حرّ كدنيا الخيال)⁽³⁾

وإنما هو كذلك لاجتماعها معه على نحو الأمل والحلم:

- (وكان اللقاء الغريب السعيد

طوانا هناك على الشط ليل

ندي الغلائل شفّ مضيء)⁽⁴⁾

- (ستراني هناك أمشي إلى جنبك

أنت استغراقتي وابتهالي)⁽⁵⁾

- (وسنمشي معا بعيدا ولا ندري

متى ينتهي الطريق الوثير)⁽⁶⁾

- (ورأيت أحزاني تموت على تعانق راحتينا)⁽⁷⁾

¹ - الديوان، كلما ناديتني، ص 207.

² - الديوان، وقد حدثتني ذات ليلة، ص 385.

³ - الديوان، هو وهي، ص 273.

⁴ - الديوان، نكريات، ص 178 - 179.

⁵ - الديوان، وانتظرني، ص 183.

⁶ - الديوان، وانتظرني، ص 184.

⁷ - الديوان، العودة، ص 195.

- (وهناك على شط النهر

تتغامز أضواء القمر

وتراقص في لحن غزل

أحلام النهر الهفهاف)⁽¹⁾

- (هناك ألقاك

في قلق الانتظار

منفعلا مستثار

تهتف أبطأت)⁽²⁾

- (هناك في الصفاء تبني لنا

يد الهوى منزلا)⁽³⁾

- (وسنمضي معا، ضياؤك يهدي خطواتي إلى طريق صعودي..)⁽⁴⁾

ولما تعذر عليها الصعود واللقاء، تطلبه وتدعوه للعودة:

- (عد من هناك، من البعيد .

لصدرها الحاني الظلال)⁽⁵⁾

وهي الحقيقة التي تصدمها حينما يتعذر الأمل ويتبخر الحلم، فتكون صيحتها صيحةً مُرَّةً لا إجابة لها إلا النفي غير المرغوب فيه. ويسري هذا الوضع على كل القسم الأول من الخطاب الشعري عند فدوى طوقان، ولا يقوم الاعتراض إلا في المواقع التالية:

1. (وتداعوا من ههنا وهنا، وانتظموا تحت بندك المعقود)⁽⁶⁾

واللفظ ((هنا)) يرنو إلى لَمَّ الشمل والتكتل من بعد التشتت وعدم التوحد لمجابهة عدو مشترك، فيصرف اللفظ لصراع الإنسان مع الإنسان لا لغيره.

2. (و أبصرت أشلاء قومي هنا

وهناك على طريق السابلة)⁽⁷⁾.

1 - الديوان، في الكون المسحور، ص 198.

2 - الديوان، هل تذكر، ص 203.

3 - الديوان، هو وهي، ص 274.

4 - الديوان، هو وهي، ص 300.

5 - الديوان، عد من هناك، ص 364.

6 - الديوان، اليقظة، ص 135.

7 - الديوان، حلم الذكرى، ص 170.

لفظاً ((هنا)) و((هناك)) فيهما دلالة التشتت وصورة لحال مرفوضة ومرغوب عنها، ولكنها حقيقة قائمة تصوّر الوضع العربي بعد الاحتلال، وهو تموضع ممقوت في اللفظين معاً.

- (ساروا هناك على الرصيف

ساروا بلا هدف بلا قصد

حيارى تائهين)⁽¹⁾.

3. (فما كان يا ليل حبة بُرّ

هناك لديهن تشبع جوعه)⁽²⁾

4. (فكأنهم جثث هناك بلا حياة أو شعور)⁽³⁾

في اللفظ بيان مكان تشبّه فيه بعض الناس (اللاجئون) بالأموات، وهو مكان غير المكان المراد بـ ((هناك)) التي تريدها هي في غير هذا الموضع.

5. (كأن ذراه رفعن هناك، على الأفق متكأً للنجوم)⁽⁴⁾

تحكي الشاعرة قصة (رقية) بوصفها صورة من صور النكبة العربية رغم صور البطولة التي لا تخلو منها مواقف المرأة العربية، وليس في الوضع ما يشبه وضع الشاعرة.

6. (هنالك، في سفح مهد البطولات، والمجد، والوثبات الكبر!

هنالك؛ تحت الضباب المسن، والأرض غرقى بدفق المطر

هنالك ضمّ (رقية) كهف رغيب عميق كجرح القدر)⁽⁵⁾

في البيت الأخير. رغم التشبيه الذي يرنو إلى حالها ويُعيّن جرحها. يبقى لفظ ((هنالك)) يخص مكاناً غير المكان الذي أرادته في تنقلها العلوي، ولا فيه ما يشبهه من خصائص.

7. (ومن هنا ظلة الياسمين ومن هنا ظلة الدالية)⁽⁶⁾

وهي صورة لانتقال (رقية) من عالم لعالم، فشيّعها الناس بالورود إلى عالم الغيب الذي تراه الشاعرة شهادةً.

8. (وهنا سنلقي عبئاً

وهنا سينسى روحنا المكدود

أحزان السنين)⁽¹⁾

1 - الديوان، ذاك المساء، ص 377.

2 - الديوان، هو وهي، ص 288.

3 - الديوان، مع لاجئة في العيد، ص 143.

4 - الديوان، رقية، ص 145.

5 - الديوان، رقية، ص 146.

6 - الديوان، رقية، ص 147.

لفظ ((هنا)) فيه دلالة على الراحة والطمأنينة في مكان يُعتَقَد أنه يكفلهما، وهو أرقى وأفضل حالا من ((هنا)) الممقوتة عندها، بدليل قولها: (لكن وهمنّا، يا سداجة ما وهمنّا)⁽²⁾. فلو كان كما توقعت لما كان وهما ساذجا.

9. هنا يا رفيق حياتي أنا

وأنت أمامي، أمامي هنا⁽³⁾

10. هنا نحن، هذي يدي في يديك

(...) هنا نحن بعد الطواف البعيد⁽⁴⁾

11. (أَتَغصَبُ أرضي؟ أَيْسَلَبُ حقي وأبقى أنا

حليف التشرد أصحب ذلة عاري هنا)⁽⁵⁾

لفظ ((هنا)) يدل على مكان مرغوب عنه بدليل الرغبة في العودة إلى ((هناك)) أي أرض الوطن (بعد الطواف البعيد)، والصراع هنا مصروف للإنسان ضد الإنسان، وليس لصراع الزمن كما كان الحال في وضع القاعدة، وهذا استثناء!.

12. (بلى سأعود، هناك سيطوى كتاب حياتي)⁽⁶⁾

وتعني بـ((هناك)) فلسطين، وما عدا هذا الموقع فكل ((هنا)) استبدال للأرض، وكل ((هناك)) استبدال للسماء، وهما عالمان مختلفان بمميزات متباينة، والحياة عندها رفض لواقع ورغبة في عالم. هو شكل من أشكال الهروب الذي لا يقع والمقتر للصراع مع الزمن وهو اجس الحرمان والفقدان⁽⁷⁾.

ب- هي والزمن: صراع لا ينتهي:

الجدول 01:

النص	الزمن الدال على الفناء	الشاهد/القرينة	الصفحة
------	------------------------	----------------	--------

¹ - الديوان، الرجوع إلى البحر، ص 396.

² - الديوان، رجوع إلى البحر، ص 396.

³ - الديوان، ساعة في الجزيرة، ص 222.

⁴ - الديوان، ساعة في الجزيرة، ص 223.

⁵ - الديوان، نداء الأرض، ص 154.

⁶ - الديوان، نداء الأرض، ص 154.

⁷ - النقص والحرمان والبحث عن التعويض في التحليل النفسي عوامل باعثة للانفعال الشعري. ينظر: بول ريكور: صراع التأويلات، ص 137. وحميد حميداني: تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 272-273، معتمدا على سيغموند فرويد و جاك لاكلن . ونبيهة قارة: الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 67. ومحمد عزام: اتجاهات التأويل النقدي، ص 288.

الفصل الرابع: التأويل المفصل... القراءة

13	عانت بها أيدي الخريف آلت لضمور وانطفاء	الخريف (فصل) المساء (آخر اليوم) عروق النور	خريف ومساء
14	أستار المغيب/ الخريف الجهم ظلال عكستها في أشباح المساء	أشباح المساء أشباح الغروب	
15	يخبو نور حياتي تلقى إلى القبر بقايا الغوالي	غدا [يخبو] تأكل الأيام و... الليالي غدا	
22	ودفق الليل كبحر طغى فانحدرت تحت عباب المساء تخبط في الدرب وقد غمغت شاخصة المقلة نحو السماء	عباب المساء/دفق الليل (تدقق/هواجس)	الشاعرة والفراسة
26	يا لبيت شعري إن مضت بي غدا عنك يد الموت إلى حفرتي	غدا	أوهام في الزيتون
27	تذكريني فكم.. فيه شيعتها إن يزورها المغرب عن عرشها تنزوي شمس حياتي تطويني الليالي	شمس الأصيل أصيل المغرب غدا الليالي غدا	
41		لا نور	
43	فهذا الخريف تدب خطاه ليعصف بالزهر المعجب وأنت...وأنت تخاف الخريف وتشفق من ريحه العاتية	الخريف الخريف	ليل وقلب
44		ليل	
45		الليل	
46	تلاشى ظلها	غدا	حياة

الجدول 02:

الصفحة	القرينة / الشاهد	الزمن الدال على تماثل الشعور وديمومته (تواصله)	النص
--------	------------------	--	------

الفصل الرابع: التأويل المفصل... القراءة

9	كالأمس، كالغد، ثرة الأشواق((مشيوباً هواها))	الأمس والغد [الحاضر اليوم]	مع المروج
55	تدقق الظلمة في يومها.. في غدها المجروح.. في أمسها	= يومها / غدها/ أمسها	طمأنينة السماء
	نحو مهاوي أمسها الغابر لعل في الماضي وأطيافه عزاءها من قسوة الحاضر	أمسها الماضي الحاضر	
53	تأسو جراح الزمن الغائر	الزمن	

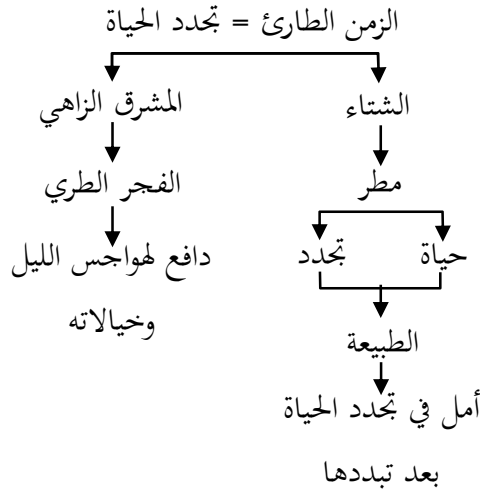
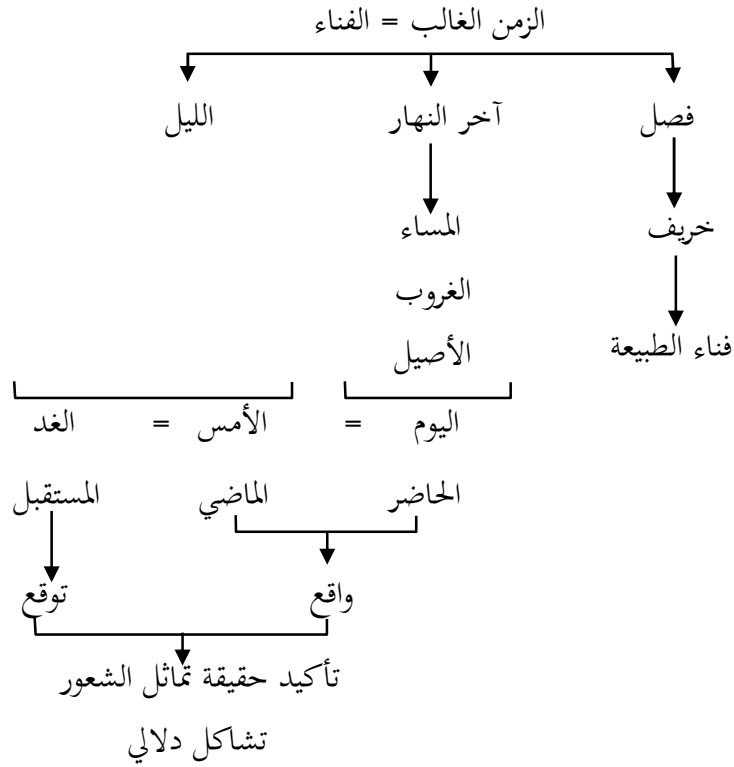
الجدول 03:

الصفحة	القرينة / الشاهد	الزمن المشار إليه بالمكان والذال على الحياة	النص
19	تطفو به ≠ ألوانه الوردية اللاهبة	الأفق الغربي	الشاعرة والقراشة

الجدول 04:

الصفحة	القرينة / الشاهد	الزمن الدال على الحياة	النص
15	سيعود النور رفاقاً مع الفجر الطري	الفجر الطري	خريف ومساء
18	هناك فوق الربوة العالية هناك في الأصائل الساجية	الأصائل الساجية شمسه الغاربة	الشاعرة والقراشة
19	كأنه أرض خرافية هوت إليها شمس الغاربه		
27	إن يزوها المغرب عن عرشها فالمشرق الزاهي بها يرجع	المشرق	الزيتون في أوهام

فيكون الزمن كما يلي:



وعلى هذا البسط يكون الوضع إلى الآن كما يلي:

1. أفضل النهار أوّله لأنه رافع لسوء الليل وهو اجسه.
2. باقي النهار مقدمة للمساء ومشابه للأمس.
3. طغيان شعور آخر النهار والليل على اليوم كله.
4. تساوى يومها بأمسها وسيتساوى بغدها لاستمرار العلة الباعثة لهذا الشعور.
5. ما كان لها أن ترنو إلى الفناء لو أن أحاها لم يفن ؟ !

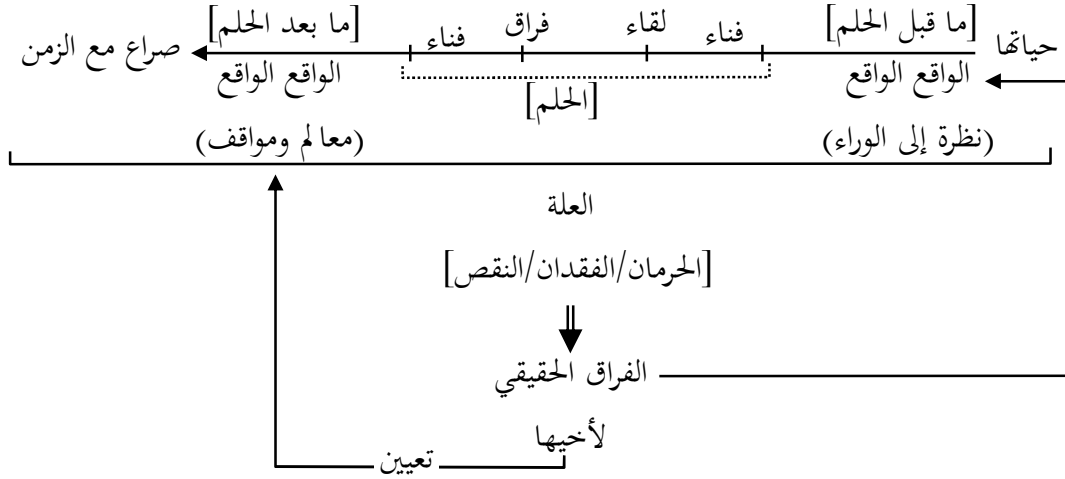
الفصل الرابع: التأويل المفصل... القراءة

6. هذا العالم ممكن قد وقد لا تشترك فيه مع كثير من الناس، ووجوده مرهون بوجود علته وما قام مقامها [الحرمان].

7. نشأت هذه الرغبة عندها ولم تتحقق حقيقة في الواقع لوجود رغبة مضادة، فمالت إلى الحلم.

8. تجدد الحياة وبعثها يخص الطبيعة في الحياة التي تبددت، وأما تجدد حياة الإنسان فتكون بالبعث وفي حياة غير الحياة الأولى.

9. لهذا الوضع الجامع بين الشاعرة وأحاسيسها وعلة فقدان عندها، يكون الزمن طرفا في الصراع القائم. والحال كما يلي:



وهو وضع يسري على كل القسم الأول من الخطاب الشعري عند فدوى طوقان كما سيتوضح مع الجرد في الجداول التالية:

ملاحظات	قصائد اللقاء والفراق والفناء وصراع الزمن	القسم الأول
أكثرها على الفراق	غيب النوى [69 - 73]	وحدني مع الأيام
لقاء فقط	سمو [81-83]	
أكثرها على أمل اللقاء	قصة موعد [87-92]	وجدتها
فناء/تساؤل عن اللقاء	في سفح عيبال [116-118] [لا لقاء = حقيقة]	
لقاء/الواقع الوطن والهموم	حلم الذكرى [166-173]	
لقاء/رجاء/لا فراق بعده	ذكريات [178-181]	
أمل لقاء/وتداع	و انتظرني [182-185]	
فناء كلي بفراق أكيد	الانفصال [186-189]	

الفصل الرابع: التأويل المفصل... القراءة

لقاء جديد صدفة أم بقصد فناء/فراق/لقاء حلم اللقاء وألم اليقظة موعد/لقاء/حكاية لقاء جديد رغبة في اللقاء فراق بعد لقاء عودة/لقاء/حب/ابتهال/نجوى رفقة وتأمل ونسيان حلم اللقاء	هل كان صدفة [190-192] العودة [193-196] في الكون المسحور [197-201] هل تذكر [202-206] كلما ناديتني [207-210] حتى أكون معه [211-213] القيود الغالية [214-217] تشك بحبي [218-221] ساعة في الجزيرة [222-226] الأطياف السجينة [241-244]	
فراق/عبيثة اللقاء على آثار اللقاء/فراق نوهم حوار في لقاء فراقي/ ذهاب إليه تباعد وتماهي اللقاء والحلول/ حنين وحزن (حكاية حياة كاملة بكفاحها حلوها ومرها)	أنا راحل [254-257] دوامة الغبار [261-265] هو وهي 1 [266-278] هو وهي 2 [279-303]	من رواسب وحدني مع الأيام
لقاء/ فراق/ حنين فراق/عودة أمل لقاء على آثار اللقاء وذكرى قبل الفراق أمل العودة/ نجوى وابتهاال تساؤل عن لقاء، لقاء؛ ما قبل اللقاء أمل لقاء على أثر الفشل في العودة اللقاء الجديد/اليقظة [لارجعة بعد الفراق] اليأس/الحب/الانتهاال/ الحقيقة الجارحة القاتلة.	نسيان [318-320] إليه بعيدا [335-337] يزورنا [344-347] يوم الثلوج [348-351] عد من هناك [362-364] ذاك المساء [376-381] و قد حدثتني ذات ليله [382-386] هزيمة [387-390] القصيدة الأخيرة [403-405]	أعطنا حبا

تُصَرَّف كل هذه القصائد للقاء والفراق والفناء وصراع الزمن؛ فبعد كل فراق فناء، وبعد كل لقاء أمل وحلم. وللفراق أمد طويل من الأسى والتوجع، ولللقاء زمن قصير من الغبطة والنشوة، وكلاهما لا يحدث على الحقيقة، بل هو الحلم والوهم والأمل فقط، فحين يستسلم الإنسان لهواجس

نفسه يصير المستحيل في غفواته ممكنا إلى أن توقظه ضربات الواقع، ليعيش كما عاشت الشاعرة أزمنة للفناء تراءت لها أصنافا من الحياة !

يقوم هذا الوضع على ظاهرة التكرار؛ فعلى مستوى اللفظ المفرد تتردّد ملفوظات: اللقاء والفراق، والمضي والعودة، وما قام مقامها فعلا واسما ومصدرا، وتصب في قوالب تركيبية تتفق دلالة وإن اختلفت تركيبا، صانعةً فضاءً من الأسي التام تتخلّله لحظات أنس وأمل [لقاء]، وتتلوه وقد تسبقه والعكس أزمنة من الفراغ والضياع والتهيه أساسها الحرمان والفقدان، وهو الموضوع الأساس الذي تدور حوله القصائد السالفة بنمطيه إعادة الإنتاج أو التناسخ الداخلي⁽¹⁾، ورغم تكرار الموضوع لا يبدو للشاعرة أنها تكرّره بل يبدو نسفاً جديداً لشعور يتجدّد قد لا تعرف هي ماهيته، وكلما تحدثت عبّرت عن حال وانفعلت لوضع يؤلمها ويؤسيها، وكأنه يختلف عن سابقه ولاحقه، وهو في الحقيقة ذاته وعينه. وربما هو اللاوعي الذي تُصرف له أغلب الانفعالات الشعرية، ليكون الشعور بما لا يقدر الشاعر أن يحدّد هويته⁽²⁾، فيتكرر مرات ومرات ليبدو صناعةً متجددةً في كل مرة تختلف في عناوينها وطريقة كتابتها، بل وتختلف لحظات كتابتها، غير أنها تدور حول نواة دلالية واحدة هي اللقاء والفراق والفناء الطامي.

وعلى هذا الأساس؛ فإن ((من الأعماق))⁽³⁾ هو النص الأول الذي باشرت فيه الحديث عن هذه النواة الدلالية، ثم راحت تُكررها بالتقديم والتأخير والإفراد والتداعي، فقدمت اللقاء حيناً، وأخرت الفراق، وفي آخر أخرت اللقاء وقدمت الفراق، وأفردت أحدهما بالانفعال دون الآخر إلا ومضات هنا وهناك، واسترسلت في تداع للصور لوضع أساسه الفراق الحقيقي.

يقتضي هذا الوضع وجود حقول دلالية خمسة؛ الأول ما دلّ على الفناء، والثاني ما دلّ على اللقاء، والثالث ما دلّ على الفراق، والرابع ما دلّ على الزمن، والخامس ما دلّ على الشعور المتزامن مع كل محطة. وما سبق تقديمه يغطي كل هذه المحطات، وللتمثيل يقع اللقاء بلفظ ((تدنو)) في ((غيب النوى))⁽⁴⁾ ولفظ ((تجلّيت)) في ((سمو))⁽⁵⁾ وكلاهما فعل، ويقع في ((قصة موعدا)) بملفوظ ((يجمعنا

1 - ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 122-124.

2 - ينظر: حميد حميداني، تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 276.

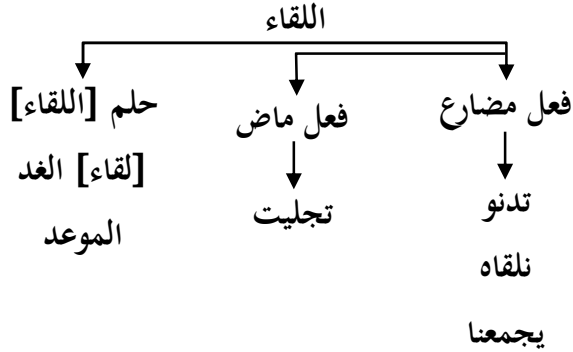
3- الديوان، ص 70.

4- الديوان، ص 70.

5- الديوان، ص 81.

الفصل الرابع: التأويل المفصل... القراءة

الموعد)) وملفوظ ((نلقاه))⁽¹⁾، وفي ذات النص يقع بلفظ: ((اللقاء)) مفرداً⁽²⁾، ومضافاً: ((حلم ((اللقاء))⁽³⁾، وفي ملفوظ ((لقاء الغد))⁽⁴⁾ مضافاً إلى لفظ دال على الزمن.



فيكون بين ((اللقاء)) و((الموعد)) استبدال دلالي لوضع واحد، وارتباطه ب: ((الغد)) و((الحلم)) يبرر استخدام الفعل المضارع الدال زمنياً على الحاضر والاستقبال: ((تدنو)) و((نلقى)) و((يجمع))، ليقع التجلي موقع الحد الفاصل بين زمنين:

الأول: ((وقد كنت في وحشة لا أرى لي أليفاً يبدد عني الأسي))⁽⁵⁾

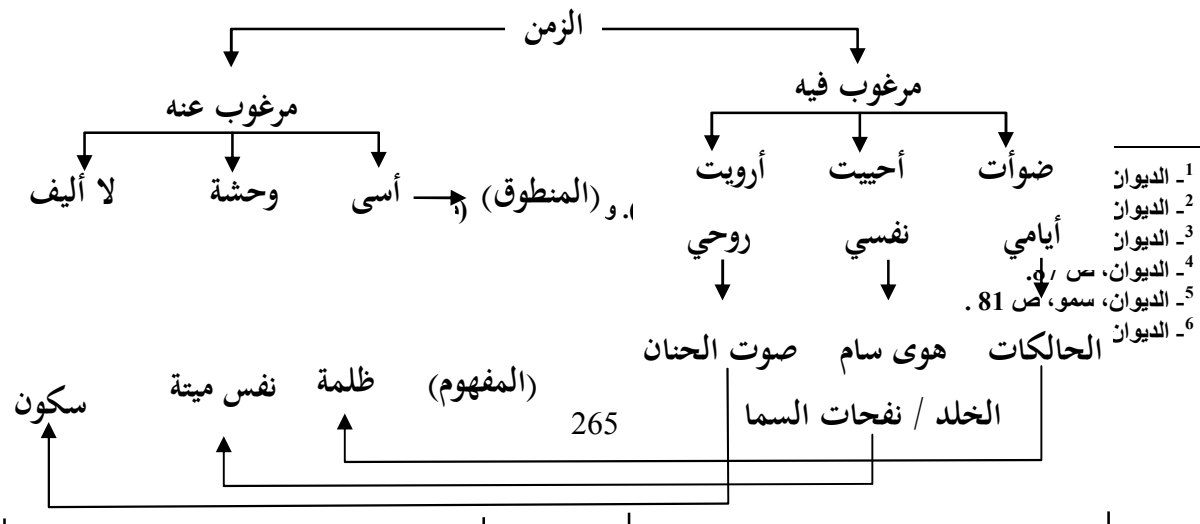
والثاني: ((فضوات أيامي الحالكات وأفغمتها بذكي الشذى

وأحييت نفسي بأسمى هوى هو الخلد أو نفحات السما

وأرويت روحي بصوب الحنان كالروض أرواه صوب الحيا))⁽⁶⁾

وقد وقع الثاني بعد قولها: ((إلى أن تجليت...))، والأول قبله، وبذلك يرسم الوضع تخيلاً

زمناً مرغوباً فيه وآخر مرغوباً عنه وبينهما حياة وفناء:



فردّ إليها الحياة بتجليه وانكشافه أمامها، كما علمنا تجدد الحياة في الروض [الطبيعة]
 ((وأرويت روعي بصوب الحنان كالروض أرواه صوب الحيا))⁽¹⁾

لقد فقدت الحنان الباعث على الحياة، فلما حصل بتجليه أمامها استعادت رغبتها في العيش. وسواء حدث ذلك أو سيحدث [وهما أو حلما أو أملا في حلم]، كان الزمن المرجو سائرا⁽²⁾ كما هو في زمن الحياة حلوا⁽³⁾، لأن الموعد ساحر وذو شذى⁽⁴⁾.

وأما الزمن المرغوب عنه؛ فهو الزمن الذي يرافق الفناء الشعوري والحاصل بالوحدة والأسى والظلمة والسكون، ليرسم على نفسها الفناء ونعمة الانتهاء المؤكد بملفوظات: ((أيامها المرة القاسية))⁽⁵⁾ و((أعاتب الأيام.. والزمن المفرق.. والوجود))⁽⁶⁾ و((الغروب الحزين))⁽⁷⁾ و((تدفن تحت تحت ركाम السنين))⁽⁸⁾.. وإنما حصل هذا الزمن بكل هذه الأحاسيس والمشاعر المؤلمة بفعل الفراق الحاصل بلفظ ((مضيت)) في ((غيب النوى))⁽⁹⁾ و((انتهت)) في ((قصة موعد))⁽¹⁰⁾، وكلها تؤدي

1- الديوان، سمو، ص 82.
 2- الديوان، قصة موعد، ص 89. (الزمن السائر) ملفوظ للشاعرة: (وقلبي في نزق ثائر يعد خطى الزمن السائر).
 3- الديوان، قصة موعد، ص 89. (الغد الحلو) ملفوظ للشاعرة: (وكان الغد الحلو يا شاعري تنسجت في جوه الناضر).
 4- الديوان، قصة موعد، ص 89. (شذى الموعد المقبل الساحر) ملفوظ للشاعرة يكمل البيت السابق في الهامش 3.
 5- الديوان، نار ونار، ص 95.
 6- الديوان، في محراب الأشواق، ص 86.
 7- الديوان، غيب النوى، ص 72.
 8- الديوان، غيب النوى، ص 72.
 9- الديوان، ص 69 مرتين، وص 70 مرة، وص 72 مرة.
 10- الديوان، ص 91.

معنى التناهي والابتعاد، وهو الأكثر وضوحاً في ملفوظها: ((وتمضي وأمضي))⁽¹⁾ الجامع بينها وبينه في فعل واحد ولذلك يتقابل الإحساس عندها في المحطتين لقاء/فراق وفي الزمنين حياة/فناء كما يلي:

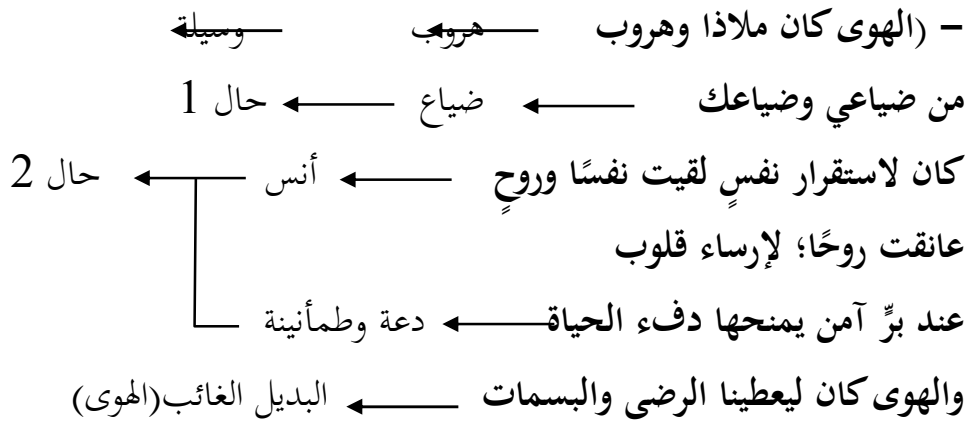
1. في ((غيب النوى)) [69-73]

- ((أغرق في حلم ساحر)) / ((الحلم السعيد)) - قلبي يذوب
- لهفتي الجائعة. - تذوي / نفنى
- قلبي الغريب / الخضيب / الشريد
- غيوم حزاني
- وجوم كئيب

2. في ((قصة موعده)) [87 - 92]

- جوانحي الخافقة - عذاب الفراق
- مهجتي العاشقة - ظمأ واحترق
- لهفتي الحارقة. - مأساتي الدامية
- قلبي اللهيف - يأسى الفاجع
- قلبي وقلبك معتنقان - قلبي التائه المجهد
- عالمي الضائع

ينطبق السابق من الكلام على كل نصوص اللقاء والفراق المعينة سلفاً، وكلها تصوّر حالاً مثقلاً بالهموم، علّتها الفراق على خطى حبّ فريد:



¹ - الديوان، غيب النوى، ص 71.

ولينسينا جراحات الليالي الموحشات) ← نسيان ← فشل
لا ليرمينا على صحراء تيه ← حقيقة حال ← ثبات واستغراق (التيه+الفراغ+الموات)
وفراغ وموت⁽¹⁾.

إن صحراء التيه والفراغ والموات تمثل الحال الأولى، رغم الهروب منها بقيت ثابتة في حياتها؛ لأن الفراق سابق بوصفه حدثاً لكل انفعال سلوكي أو شعري وما جاء بعده من تداعياته كما سبق بيانه.

لم يبق من القسم الأول إلا ما يصور مواقفها من الحياة والواقع المعيش، كما يتوضح في المواقف والمعالم.

¹ - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 403 - 404، والاختيار مقصود للجمع بين أول الانفعال وآخره والتدليل على أن الموضوع واحد، فقط يتعدد في أشكال مختلفة.